نظرة الى التناقضات داخل معسكر الامبريالية

صراع الاحتكارات الاميركية والاوروبية

هل يؤدي التوحيد الاقتصادي لأوروبا الى استقطاب "أوروبا العاملة" ضد "أوروبا الرأسمالية"؟

في الثالث والعشرين من الشهر الماضي ، طرح على الشعب الفرنسي مشروع جورج بومبيدو حول الوحدة الاوروبيه وتوسيع السوق المشتركة الى عشر دول ومعنى ذلك دخول اوروبا الغربية في اتحاد يبقي الصفة الاقليمية لكل بلد من البلدان العشرة ، على ان تنفذ خطوات جديدة لدفع اوروبا الى الامام ، على حد قول بومبيدو ، الخطوات التي ستطبق بمجرد اتحاد الدول العشر سيتبعها اجراءات على الاصعدة الاقتصادية والتجاريه والسياسيه .

ومن العسير الحديث عن الخطوة التي قامت بها الدول الغربية الراسمالية بمعزل عن التغيرات والتحولات التي جرت في السنة الماضية في عالم النقد والاقتصاد ، ودون الرجوع الى تحليل التناقضات القائمة داخل معسكر الراسمالية ، اي الى قضية الصراع الراسمالي بين الولايات المتحدة الامركية وكندا من جهة وبين الدول الاوروبية الغربية الراسمالية (بالاضافة الى اليابان في اسيا) من جهة اخرى.

وتعود القضية هذه، قضيه الصراع الراسمالي بين ارباب الراسماليه ، الى عشية استسلام جيوش المانيا النازية الى الجيوش الحليفة سنة ١٩٤٥ ، وتدفق رساميل الولايات المتحده الى المانيا الغربيه التي كان اقتصادها مسحوقا ومشلولا ، وقيام الولايات المتحده بتعويم الاقتصاد الالماني في مشروع مارشال الذي قدم لها اربعين مليارا من الدولارات عدا الالات الحديثة والمعدات التقنية ، وتابعت رساميل الولايات المتحدة نزولها بشكل كثيف في اوروبا وتحولت من المانيا الى بريطانيا وفرنسا وهولندا حيث تمكنت من السيطرة خلال اعوام قليلة على العديد من متفرعات الاقتصاد الاوروبي .

والاسباب التي ادت الى تقدم الدول الاوروبية (والكلام هنا بالمصطلح الراسمالي) تكونت منذ الحرب العالمية الثانية ثم تكاثفت بعد ذلك على مر السنوات وخاصة بعد المد الامركي الراسمالي من خلال شركاته الدولية الضخمة التي توصلت الى السيطره على اكثر من شركه اوروبية كبرى وتحويلها بالتالي الى عامل منتج رابح للولايات المتحده .

■ في طليعة الاسباب التي دفعت الدول الاوروبيه للتحول من مرحلة « الاقليمية » (اي القوميه) على الصعيدين السياسي والاقتصادي، اي اوروبا القديمه الممثلة بروبرت شومان وغاسبري وادناور الى مرحلة الوحده الاقتصاديه - السياسيه هو التحدي الامركي في عقر دار الدول الاوروبيه ثم الاجراءات التي اتخذتها الولايات المتحده لحمايه الاقتصاد الامركي والدولار برفع نسبه الضريبه الجمركيه الى عشرة بالمئه على كل البضائع ، وخاصه الاوروبيه واليابانيه .

■ اذا اتحدت الدول الاوروبيه ، تصبح اقوى مجموعه اقتصاديه عالميه ، لان علاقاتها التجاريه والاقتصاديه تفوق الـ ٥٠٪ الولايات المتحده ، رغم ان مجموع الانتاج القومي الامركي يفوق ٥٠٪ مجموع الانتاج القومي لاتحاد الدول العشر .

■ وهكذا تكون الدول الاوروبيه من خلال اتحادها وتقديم التسهيلات الجمركيه والتعاونيه لشركاتها ولمؤسساتها قد فرضت نفسها كمنافس للولايات المتحده الامركية ، تستطيع محاربه الدولة الراسماليه الاولى في عدة مجالات كصناعة السيارات ، وصهر الحديد ، والنسيج والاغذيه رغم ان الامركيين يحافظون على مواقع متينه في حقل النفط ، والالات الالكرونية والكهربائية والصنيع الثقيل (الاسلحة مثلا) وفي حقل الطيران .

ولكن اتحاد الدول العشر ، وبالتالي تجميع القوى الراسمالية فيها ، يستطيع ضرب اسطورة المارد الامركي في كل هذه الحقول ، حتى وان كانت الولايات المتحدة مسيطرة على عدة مجالات من الاقتصاد الاوروبي ، والسبب الحقيقي الذي عجل بوضع مشروع الاتحاد الكبير هو احساس الراسمالية الاوروبية بأن تشرذمها وانفكاكها وعدم تجميعها يفيد الاحتكارات الامركية التي تنفرد بالمؤسسات الضعيفه نتيجة هذا التفكك للسيطرة عليها ودمجها في عجلة النهب الامبريالية الامركيه .

ولكن اتحاد الدول العشر الاوروبية يأتي بصورة واضحة ، وهذا ما فعله الامركيون سابقا لانشاء شركاتهم الدوليه الضخمة كالجنرال موتورز وفورد وغيرها ، يأتي وكأنه اتحاد الشركات الراسماليه الاوروبيه في وجه الشركات الامركية وفي الحقيقه ان الدعوه الى انشاء اتحاد الدول العشر او اتحاد الشركات الاوروبيه لم يأت وليد اشهر او سنه بل ان اول خطوه ضد الراسمالية الامركية قامت بها الراسماليه الاوروبية كانت انشاء الاتحاد الاقتصادي الاوروبي او اتحاد السوق الاوروبيه المشتركه الذي ضم ستة دول في ٢٥ اذار سنه ١٩٥٧ ، والذي ظل معتمدا على شكليات دون ان يستطيع تحقيق الكثير في برامجه لردع الراسمال الامركي .

اندماج الشركات الاوروبية

وبعد ذلك اخذت بعض الشركات تتعاون مع بعضها البعض وتوصلت اخرى الى الاندماج الفعلي مع شركات اخرى من بلدان السوق الاوروبيه ، اذ شهدت سنة ١٩٦٤ قيام شركة مزدوجة دولية من اغفا وجيفرت للتصوير ثم اندمجت شركة ميشلان للاطارات والكاوتشوك مع فيات التي سيطرت بعد ذلك على سيتروين وبرليه الفرنسيين ، وبذلك تكونت مجموعه دوليه امنت لنفسها المركز الثاني عالميا في مجال صناعه السيارات .

وفي حقل صناعه الكيمياء والادويه ، اتحدت مؤخرا شركات المانيه وفرنسيه وبلجيكيه في مجموعه ضخمه من بولنك - وباير وروسيل هوخشت ، عدا ميدان البنوك والمصارف ، اذ اتفقت المصارف الكبرى في جميع دول السوق المشتركه بتوحيد نشاطاتها في الداخل والخارج والمصارف هي الكريدي ليونيه وبنكو دو روما وكمرتز بانك .

واذا دخلت بريطانيا في الاتحاد المذكور ، ستكون لندن مركزا دوليا ومنطلقا لصراع الامبريالية وخاصه في مجالات النفط ، نظرا لما لشركات البترول البريطانية (شل ، جلف، بريتش بتروليوم) من مكانة دولية في عالم نهب بترول العالم الثالث .

ومن هنا ، فان التطور الذي حدث في العالم الغربي الراسمالي في السنوات الماضية تجلى بصورة واضحة في قيام الشركات الدولية التي بلغ عددها ما يقرب الـ ٧٠٠ شركة عالمية في العام الماضي ، في حين يقول العارفون والباحثون بأن عدد الشركات الدوليه سيرتفع الى الالف سنة ١٩٨٠ .

هذا يعني ان « تدويل الراسمال » كان العامل الاساسي في العالم الراسمالي بعد الحرب العالميه الثانية ، العامل الذي طبع الدول الراسماليه وعلاقاتها مع بعضها البعض، وعلاقاتها مع بعضها البعض ، وعلاقاتها مع دول العالم الثالث ، ومن ناحيه ثانية علاقات الراسمال الدولي مع العمال والنقابات واتحادات الشغيلة في كافه انحاء العالم الغربي، واذا كانت الشركات الامركيه الرائده في هذا المجال ، فلان الظروف الداخليه للولايات المتحده وعلاقاتها الراسماليه مع العالم كانت تشجع وتنمي هذا التطور الراسمالي الاحتكاري ، وهذا المد في العلاقات الراسماليه مع بعضها البعض نحو اعلى مرحلة في تطوره ، اي نحو تدويل الراسمال .

وفي حين كانت علاقه الدول الغربيه مع الدول المستعمره مباشره ، فان الوضع الحالي تغير نتيجه تطور الراسمالية نحو القمة ، واصبحت العلاقه هي بين الدول المستعمرة وان كانت مستقلة شكليا ، وبين الشركات الدولية من جهة اخرى وهذا ما تحدث في العالم الثالث كله وفي امركا اللاتينيه خاصة، والسياسة تفعل ذلك هي وليدة ضغط الشركات الدولية على حكوماتها التي بدورها تعمل ما تريده وما يفيد مصالح الشركات الدولية ذاتها في كل المجالات الاستعماريه .

ففينيا مثلا ، بعد سقوط حكم نكروما ونتيجة الديون المتراكمة عليها ، اعطت الشركات الدوليه (بشنني ، الكاوا ، الكان) امتيازات ضخمة وواسعه في العديد من المرافق الاقتصاديه ، كما ان سياستها الداخلية والخارجية هي وليدة مصالح تلك الشركات .

والذي حدث في اوروبا ، مع تقديم مشروع الوحدة الاوروبيه ورفع عدد الدول في السوق المشتركة الى عشر ، ان كل المخططات وكل الهيئات التي ستشكل اي توحيد العملات والنقد توحيد مشاريع التنمية وتوحيد الميزانية العامة لتلك الدول وقيام الهيئة التنفيذية الموحدة لذلك الاتحاد ، كل ذلك تنمي قوة الشركات الدوليه الاوروبيه وبدفعها الى مناوأة الشركات الامركيه في صراع رأسمالي على استثمارات العالم الثالث .

فمع توسع السوق الاوروبية المشتركه ، ومع رفع الحواجز الجمركيه وتوحيد العملات اذا نظرنا هنا الى الخسائر التي تصيب الشركات الدوليه من جراء تحويل النقد ، تستطيع الشركات العالميه ان تستفيد جدا من هذه الامتيازات الفريده وبالتالي الاندفاع قدما نحو زيادة الانتاج وهذا ما يعزز ضمنا الراسماليه والامبرياليه في اوروبا ، اوروبا التي ستصبح « اتحاد الشركات الضخمه والاحتكارات الرأسماليه » .

سباق الاحتكارات

فالموضوع يختصر اذا في هذه الناحيه بأن مشروع الوحده الاوروبية يعطي الراسمالية ابعادا واشكالا جديدة وخاصة في علاقاتها المبادله

وكما يقول « مورنان » الاقتصادي الفرنسي في النوفيل اوبسرفاتور : « ان التطور الراسمالي من خلال « تدويل الراسمال » هو في حقيقته ، التحدي الامركي الراسمالي في وجه السوق الاوروبيه المشتركة ومخططاتها، وان فوز الولايات المتحده في السباق هذا مرهون بالخلافات التي قد تطرا داخل السوق ، وان التهديد الذي قد تحصل في وجه الولايات المتحده سيكون بتوحيد العملات الاوروبية ، وتوسيع نفوذ الشركات الاوروبيه في العالم » .

واذا كان رد الولايات المتحدة على الاتحاد الاوروبي في هذا الصراع بالهجوم على كل الجبهات الاقتصادية والماليه في حال اتفقت الدول الاوروبيه وشركاتها ستقوم بمصادرة الرساميل الامركية في اوروبا وتعتبر ضخمه للغاية ، من خلال الضرائب والنسب التصاعدية لها . واذا اخذنا احد الامثلة عن السياسه الامركية في مجال الاقتصاد قول كونللي بأن ديون امركا التي تقارب ستين مليارا من الدولارات ، لن تكون عبئا على الميزان التجاري ، وبالتالي على التحرك الخارجي الاقتصادي ، لانها ستلقى بفعل فوائد القروض والديون التي تقدمها الولايات المتحدة الى العالم .

ولكن اتحاد الدول الاوروبية وان كان سهلا في المرحلة الاستفتائية والكلامية ، فانه سيكون صعبا في مرحلة التنفيذ الجدي نظرا للخلافات العديدة المستحكمة بين الدول الاوروبية الرأسمالية ذاتها ، دون الوصول الى القول بان تلك الوحدة هي مستحيلة المنال وكل فالتجارب الرأسمالية تدل على ان تلك الوحدة ستحقق في القريب العاجل .

واذا كانت الوحدة الاوروبية على حد قول جاك جوليار في مجلة « فكر » الفرنسية قد « بدأت مع سان سيمر وروسو ومازيني وكانت وهيغل حيث كانت وحده الشعوب الاوروبية الرائدة والطليعية ، فان القرن العشرين مع رئيس جمعية رجال الاعمال مانشولت والمفكرين الرأسماليين الاوروبيين قد شهد تحول اوروبا الى وحدة القوى الرأسمالية الاحتكارية » .

ويتابع المفكر الفرنسي قائلا : « ان ما افرزته تجارب القوى التقدمية اليسارية من الحركات والاحزاب الماركسية والاشتراكية ، رغم الخلافات العميقة بين وجهات نظرهم حول مستقبل اوروبا ، ما افرزته تلك التجارب كان من الطبيعي « اوروبا الشغيلة » ضد « اوروبا الرأسمالية » »

ومن الطبيعي التأكد هنا على ما اورده لينين في كتابه « الامبرياليه اعلى مراحل الرأسمالية » ان تطور الرأسماليه نحو الشكل الجذري لاقصى ما تمكنه في استغلال الانسان ، سيقابله حتما وعي ثوري تتحول الى نضال شرعي . اي ان وحدة الشركات الاوروبية في صراعها مع الامبريالية الامركية التي وصلت الى ذروة مرحلة الرأسمالية لا بد من ان تولد الطاقات الثوريه النضالية في الاحزاب الاشتراكية عامه وان يتبلور النضال الطبقي بين الاكثرية العاملة وبين الرأسمالية المستحكمة ، وان تمدد التناقضات بصورة واضحة جليه .

من هذا التناقض الجلي ، يصبح من الطبيعي تجميع وتثوير القوى العامله في المجتمع الاوروبي وفي طبيعة الحال التشديد على الامر التالي : ان تدويل الرأسمال او تجميعه في اطار الوحدة الاوروبية يفرض على القوى المناضلة الاوروبية وضع المخطط العام لضرب الرأسماليه المتطورة في نضال اوروبي اممي بعد اجتياز المرحلة « القومية » .

واذا كانت الحكومات الاوروبيه قد وضعت الخطط الموافقة لمصالح الشركات في هذا الوضع بالذات اذ ان الاتحادات العمالية في فرنسا والمانيا خاصة وفي بعض البلدان الاوروبية تجتاز مرحلة صعبة في غياب تخطيطات عامة لعلاقاتها المستقبلة ونضالها الاشتراكي ، فان السكوت عن مخطط الوحدة الاوروبيه وعن نتائجه التي ستزيد من الاستغلال الراسمالي للعمال ، في اوساط الاتحادات العماليه سيتحول الى شئ واضحه على الصعيدين السياسي والنقابي للنضال ضد مصالح الرأسماليه وتوجهاتها .

لن نفيد هنا ، كما يخيل للبعض (وهذا يظل في باب المناقشه) ان تقف القوى اليساريه والماركسية بالخصوص ضد مشروع الوحدة الاوروبية لانه يلغي النضال الوطني ، بل يجب الوقوف جنبا الى جنب مع القوى العاملة الاوروبيه لتوسيع رقعة النضال ودفع هذا النضال امميا ، اي الى كل ما يستوعب من معان طبقية ، والخط الاشتراكي الصحيح يفرض القول هنا ، بان توسع الاحتكارات الامبرياليه على مستوى عالمي ، هو شرط ايجابي لتنشيط الامميه البروليتاريه ولدفعها الى ضرب القوى الراسماليه المدوله .

رغم كل التطور الذي اصاب التكنولوجيا الغربيه والامركيه ورغم كل الاتجاهات في اوروبا خاصة نحو تخطي المجتمع الميكانيكي الى مجتمع اكثر تقدما وتطورا ، الى المجتمع الالكتروني والفضائي ، تبقى المسيرة الاساسيه - اي التناقض الاساسي في البلدان الحديثه والمتطورة يبقى بين قوى ومستغله وقوى مستغله التي تكون دائما هي المنتجة فعليا . ضد وحدة الشركات والاحتكار . وفي الوقت الذي بدا فيه الصراع الامبريالي على العالم ، تبقى مهمة الطبقة العامله ضرب هذا التناقض المتطور لانه بتطور الراسمالية ووصولها الى ذروة مرحلة الامبريالية يتبلور التناقض الطبقي ويبدا معه النضال على كل الاصعدة .

الذكرى الـ ١٠١ لكميونة باريس

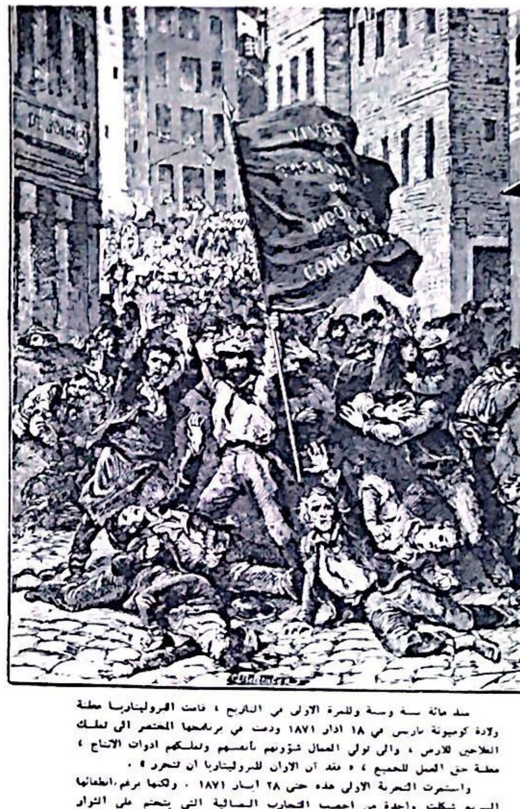

[illegible] الفلاحين للارض ، والى تولي العمال شؤونهم بأنفسهم وتملكهم أدوات الانتاج ، معطلة حق العمل للجميع ، « فقد آن الاوان للبروليتاريا ان تتحرر » .
واستمرت التجربة الاولى هذه حتى ٢٨ أيار ١٨٧١ . ولكنها برغم انطفائها السريع شكلت واحدة من اخصب التجارب العمالية التي يتحتم على الثوار استيعابها ، كما بالنسبة للتجارب العمالية الناجحة منها في هذا القرن ، من موسكو الى بكين ، من هافانا الى هانوي ، وتلك التي تمكنت منها قوى الثورة المضادة ، من الفيليبين الى اللاوس ، من اليونان الى بوليفيا .
عاشت الذكرى الـ ١٠١ لكومونة باريس .

التوباماروس ايضا وايضا

مرة اخرى .. واحد وعشرون مناضلا من منظمة التوباماروس في الاوروغواي ان يهربوا من سجنهم تحت انف قوى القمع والارهاب والدبابات الضخمة التي تقيم الحراسة عليهم والنبأ الذي نقلته وكالات الانباء لا يخلو من الطرافة والذكاء والشجاعة التي يجب ان يتحلى بها المناضل الثوري . وتفاصيل الحادث ان التوباماروس استطاعوا ان يحفروا نفقا في سجنهم « بونتر كارتياس » في قلب العاصمة ثم هربوا في سيارات كانت تنتظرهم في الخارج بعيدا عن عيون الشرطه .

ويذكر النبأ ان السكان هللوا لهرب المناضلين من السجن ثم منعوا قوى الامن من دخول الاحياء الشعبية للتفتيش عن الثوار وسدوا الطرقات بوجوههم بالحجارة مما يدل على تعاطف السكان وجماهير الاحياء مع الثوار . ومما يذكر ان التوباماروس قاموا بعدة عمليات في الشهر الماضي بلغت تسع عمليات واستطاعوا احتلال مخفر لرجال الشرطة في حي من الاحياء الشعبية ثم جمعوا السكان وخطب فيهم احد المناضلين معلنا تأكيد المنظمة على مواصلة النضال ثم رفعوا علم التوباماروس في الوقت الذي كانت فيه نجدات من الشرطة والجيش تهرع وتطوق المنطقة . ولكن المناضلين استطاعوا ان يتخفوا بين الجماهير مما زاد في هلع السلطة الحاكمة ، واعلن بعدها رئيس البلاد الجديد منع التجول في العديد من المناطق ، وكان الثوار ايضا قد استولوا على طائرة مدنية صغيرة من مطار مونتيفيديو وحلقوا بها فوق المدينة واغرقوها ببيانات تحث السكان عن الامتناع عن التصويت في الانتخابات العامة : ثم تركوا الطائرة قرب مخفر امن في الريف حيث انفجرت وفجرت معها المخفر الذي كان خاليا بعد ان عرف رجال الامن ان الطائرة ستلغم وتفجر .

ومع عملية الهرب الجماعية هذه يكون الكثير من المناضلين قد تركوا سجنهم ولم يعد في السجن سوى ثلاثة مناضلين من النساء اللواتي شددت الحراسة عليهن !

كتب يسارية

■ « العامل الامركي والحرب في فيتنام »
- نيويورك (المنشورات الدولية) ١٩٧١
- المؤلف فيليب فونر

يعالج الكتاب الذي صدر في نهاية السنة الماضية من زاوية علمية تاريخية بحتة تطور معارضة العمال الامركيين للحرب التي تشنها الولايات المتحدة على اراضي وشعب فيتنام ، وذلك منذ بدء المظاهرات الاولى ضد العدوان سنة ١٩٦٥ ، حتى المظاهرات الضخمة التي اشترك فيها الملايين من العمال سنة ١٩٦٩ وسنه ١٩٧٠ و ١٩٧١ .

ويتطرق المؤلف والباحث فونر الى قضية تحول العمال ضد الحرب الفيتنامية وذلك رغم التصور بأن العمال الامركيين والنقابات وقياداتها هي رجعية وان قيادات النقابات تتخذ مقرراتها بعد مراجعة المخابرات الامركية. وهذا التصور والموقف من العمال كان بسبب وقوف قيادات نقابات الـ « ا.ف.ل. » و « س.ي.و » الى جانب مؤيدي الحرب وحلفائهم وبسبب خوفهم من « المد الشيوعي الى المحيط الهادي » . وعدا ذلك ، كان الكثير من العمال يعتقدون ويعتبرون ان الحرب الجارية في فيتنام تؤمن وتضمن لهم العمل الدائم في المصانع وتضمن لهم الاجور المرتفعة .

ولكن خلال سنتي ١٩٦٨ و ١٩٦٩ حصل بعض التطور في موقف البروليتاريا الامركية تجاه الحرب في فيتنام وذلك من خلال الاستفتاءات الشعبية التي قامت بها اضخم المؤسسات الامركية والتي دلت بأن نسبة معارضي الحرب ارتفعت بشكل خاص بين العمال وكذلك نسبة مشاركتهم في المظاهرات . وخلال سنة ١٩٦٧ في مؤتمر الدفاع عن السلام الذي انعقد في الولايات المتحدة، ظهر اكثر قياديي النقابات في المؤتمر ونددوا بالحرب العدوانية التي تشنها الولايات المتحدة في فيتنام. وفي سنة ١٩٧٠ جاء في مقررات المؤتمر الوطني للنقابات الامركية دعوة الى نضال عام ضد الحرب في فيتنام « الحرب التي هي سبب من اسباب التدهور الاخلاقي في الولايات المتحدة » . ويقول المؤلف في نهاية الكتاب ، انه اذا تعاونت القوى الطليعيه في الولايات بشكل تضامني مع الحركة العمالية فان العمال يستطيعون ان يبدلوا الكثير من سياسات امركا الخارجية والداخلية.

وفي نهاية الكتاب ملحق عن تورط الولايات المتحدة في فيتنام ودورها في ضرب الثورة التحررية في العالم .

■ دراسات اشتراكية
مجلة مستقلة تصدر في القاهرة - العدد الاول - يناير ١٩٧٢

في افتتاحية العدد الاول من المجلة التي صدرت في يناير ١٩٧٢ ، يدعو الكاتب الحكومه المصريه « الى الرجوع عن قراراتها الاخيرة التي تشجع عوده الاقطاع الى البلاد » وتحدد مهمة المجموعه التي تصدر المجلة بانها اصدرت هذه المجلة لتكون دفاعا عن اسس ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ الاشتراكية - وتأكيدا بان هناك اصواتا عديدة كانت وستكون على النهج الاشتراكي التي تبنته ثورة ١٩٥٢ » .

وستتعاون المجلة مع « المجلة الجديدة العالمية » قضايا السلم والاشتراكية التي يصدرها الحزب الشيوعي الفرنسي .